المخطوطات العربية في مكتبة البودليان باكسفورد

الدكتور صفاء خلوصي

يعتبر السير توماس بودلي Sir Thomas Bodley العالم والسياسي البريطاني المتوفى سنة ١٦١٣ أول أمين لمكتبة البودليان Bobleian التابعة لجامعة اكسفورد ، وباسمه سميت المكتبة لما قدمه لها من جلائل الخدمات ، فقد أمضى مالا يقل عن سبعة عشر عاماً في إعادة تنظيم محتوياتها التي كانت في الأصل ملكاً لدوق غلوستر Gloucester ، وقد تم تأسيسها سنة ١٦٠٢ ووسعت عدة مرات نظراً لتزايد مجاميعها من الكتب المطبوعة والمخطوطات النادرة باستمرار .

وتؤلف مجاميع المخطوطات الشرقية ولا سيما العربية أهم مظهر من مظاهر البودليان ، وهي محفوظة مع كتب مهمة أخرى في أقباء وسراديب تحت الأرض ليس لها نوافذ ولا شبابيك خشية السطو عليها وتلفها ، مع وجود طريقة فنية خاصة لتهويتها وصيانتها من الأرضة أو الرطوبة .

وبلغ مجموع المخطوطات العربية حتى سنة ١٩٥٤ نحواً من ٢٣١٨ مخطوطة منها ١٨٥٣ مخطوطة مدرجة في السجلات المطبوعة و ٤٦٥ في فهارس غير مطبوعة متوفرة في المكتبة .

وأول مجموعة مخطوطات عربية كبيرة هي هدية رئيس اساقفة كنتربري وليم لود W. Laud ، الذي كان خريج كلية سانت جون St. John بجامعة اكسفورد وقد غدا فيما بعد صديقاً حميماً الملك شارل الأول ، فكانت النتيجة أن حوكم أمام البرلمان ، واعدم سنة ١٦٤٥ ؛ وعندما انتهى عهد كروموبل Cromwell وعادت الملكية أعيد لوليم لود اعتباره وأقيم كرسي خاص لتدريس العربية باسمه في كلية سانت جون التي تخرج منها ولا يزال الكرسي إلى يومنا هذا ويشغله فريدي بيستون A.F. L. Beeston خلفاً للسر هاملتن جب H. Gibb ولنا أن نسأل من أين حصل لود على مجموعة مخطوطاته ؟ مع أنه من الصعب الرد على هذا السؤال إلا أنه من الممكن أن نقول إن من احدى وسائله الحصول (بفضل صداقته مع الملك) على أمر ملكي إلى الشركة المسماة بـ (شركة تركيا) يحتم على كل سفينة تجارية من سفنها العائدة من الشرق أن تجلب معها مخطوطة عربية أو فارسية ؛ وتدعم هـــذا الأمر إحدى وثائق الدولة البريطانية المرقمة ١١٦ التي ترجع إلى أيام شارل الأول .

وقد أضيف إلى هـذه المجموعة مجموعة مخطوطات أخرى كان معظمها بالعربيـــة والعبرية اقتنيت سنة ١٦٩٣ من ايدوارد بوكوك Edward Pococke ، أول أستاذ للعربية بجامعة اكسفورد ومن روبرت هنتنكتون Robert Huntington وقد حصل الأخير على مخطوطاته من حلب عندما كان قسيساً يقيم الصلوات والخدمات الكنسية للتجار الانكليز هناك في سبعينات القرن السابع عشر .

أما التركة التي أوصى بها للبودليان نارسيس مارش Narcissus Marsh سنة ١٧١٣ فاحتوت بصورة رئيسية على مخطوطات عربية وفارسية ابتاع معظمها من مكتبة المستعرب الهولندي يعقوب غوليوس Jacob Gaulius الذي اشتهر في أوائل القرن السابع عشر والذي قام بترجمة قاموس الفيروزابادي إلى اللاتينية .

ويدون سجل المكتبة المخطوطات الشرقية بصورة عامة وبضمنها العربية ، وهو ليس بأكثر من جرد للمخطوطات ؛ وأول هذه السجلات هو ما صنفه يوهان اوري العالم المجري الذي تثقف في هولنده وهاجر إلى اكسفورد ومات فيها ، وكان قد تقلد لفترة من الزمن منصب أمين للمخطوطات الشرقية في البودليان ، والسجل الذي صنفه اوري سجل استعراضي وصفي للمخطوطات الموجودة آنذاك أي سنة ١٧٨٧ وعددها ٢٧٠٨ مخطوطة بينها ١٤٠٤ مخطوطة عربية وهو أعلى رقم بين مجموعات المخطوطات باللغات الأخرى .

والسجل الثاني الذي يتسم بنفس الخطورة والأهمية ولا سيما من حيث العمق إن لم يكن أعمق من سابقه وان كان أقل اتساعاً ، وقد صنفه الكساندر نيكول A. Nicoll وأتمه ايدوارد بوزي E. Pusey ، ونشر سنة ١٨٣٦ باللاتينية أيضاً ، وفيه وصف لاربعمائة وخمسين مخطوطة عربية أخرى ، مع إضافات عديدة وتصحيحات للقسم العربي في سجل (أوري Orrey) مع فهارس كاملة ، وقد عزز بثروة من المعلومات الببليوغرافية عندما لم تكن مثل هذه المعلومات ومصادرها متوفرة ؛ وشهدت السنوات الاثنتا عشرة التالية ظهور سلسلة من السجلات حسب

المتطلبات المصرية في تسجيل الكتب ، وكانت السجلات الثلاثة الأولى ما تزال باللاتينية ؛ أما ما تلاها فقد كان بالانكليزية باستثناء المخطوطات العربية والقبطية التي لا تزال تعتمد على سجلات اوري ونيكول وبيوزي .

وظهر في سنة ١٨٨٩ سجل نوبباور Neubauer للمخطوطات العبرية والسامرية Samaritan وبضمنها مخطوطات عربية كتبت بحروف عبرية ، وقد ظهر الجزء الثاني بتصنيف نوببارو وكاولي Cowley سنة ١٩٠٦ ويضم الجزءان ٢٩١٨ مخطوطة .

أما السجل الموسوم بموجز سجل المخطوطات العربية في مكتبة البودليان باجزائه السبعة فيحتوي رغم عنوانه على مخطوطات شرقية ، غير أنه لا يضيف إلا الشيء اليسير إلى سجل سنة ١٦٩٧ أو السجلات التي اعقبته ، ولو أنه يضيف معلومات قيمة إلى محتويات المخطوطات وتاريخها ، كل على انفراد ، وقد قامت مطبعة الكلارندون Clarendon (١) المشهورة بطبع السجلات كافة ، والى ذلك فهناك فهارس وسجلات موجزة خطية بوسع القراء مراجعتها في المكتبة ذاتها .

وثمة بطاقات تحمل عناوين مخطوطات عربية واسماء مؤلفيها منذ سنة ١٨٣٩ فصاعداً ؛ ويقوم تصنيف المخطوطات على أساس وضع كل مجموعة اقتنيت أو احرزت من مصدر واحد في مكان واحد بصورة دائمية ثابتة على أن تسمى باسم مهديها في حالة الحصول عليها بطريق الإهداء ، أما إذا كانت مقتناة فتوضع باسم جامعها الأصلي .

---

(١) وتعرف اليوم بطبعة جامعة اكسفورد Oxford University Press

ويبلغ عدد المخطوطات العربية المصورة عشرين مخطوطاً ، أهمها ثلاثة : إحداها كتاب « كليلة ودمنة » وهو كتاب ضخم وبقطع كبير وقد استنسخ بحروف كبيرة بارزة وعلى ورق غليظ ويبدأ بباب المتطبب وانتقاله من حال إلى حال ، يليه باب الأسد والثور ، وهو على ذلك ناقص من بدايته ويضم ١٥٢ ورقة ويرجع تاريخ استنساخه إلى سنة ٧٥٥ للهجرة على يد محمد الصوفي الشهير بابن الغزولي ، والمخطوطة المصورة الثانية كتاب « المقامات » للحريري وهو الآخر ضخم بحجم كبير كمخطوطة كليلة ودمنة ولكن الورق أغلظ وبخط النسخ الجميل البارز والصور والعناوين فيه مذهبة فهو من أجمل المخطوطات التي رأيتها ، غير اني لاحظت فيه أوراقاً بيضاء من الجهتين مع عدم ارتباط ما قبلها بما بعدها ، وهذه ظاهرة عجيبة من الناسخ الذي استنسخها سنة ٧٣٨ هجرية لخزانة الامير ناصر الدين محمد فلعله لم يكن متأكداً من أجزاء النصوص أو الصور فأرجأها ففاتت عليه وللتأجيل آفات ؛ والمخطوطة المصورة الثالثة هي كتاب « صور الكواكب الثابتة » وموضوعه علم الفلك لعبد الرحمن الصوفي بخط ابنه حسين الصوفي ورسمه ، وقد وضع بأمر عضد الدولة البويهي ومع ان صور الكتاب من رسوم آدمية وحيوانات غير ملونة فهي أنيقة دقيقة تدل على براعة الرسام في استعمال الخطوط الدقيقة ويرجع تاريخها إلى أواخر القرن الرابع الهجري ويضم ٤١٩ صفحة أي ٢١٠ أوراق ؛ وأقدم مخطوطة في المكتبة (كتاب حلوان الأدب) لأبي ابراهيم إسحاق بن أبي هريرة الفارابي وهو الجزء الثاني من معجم صنف على طريقة الموازين الصرفية بأمر الامير أبي صالح نوح بخراسان وكان مولى أمير الموصل ، وعدتها ٢٨٨ ورقة استنسخت

سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ، وأقدم ما وجدت في المكتبة من آثار قرآنية مخطوطة على ورق الرق بالخط الكوفي يرجع عهده إلى القرن الثاني الهجري وأهم ست مخطوطات عربية في البودليان في نظري هي مخطوطة في علم الحيل أو الميكانيك للجزري وقد تم طبعه ، ومخطوطة مترجمة عن ابولونيس في المقاطع المخروطية ، ومخطوطة لعبد اللطيف البغدادي بخط يده وكان أبرع من اختص بطب العظام في زمانه ، ومخطوطة القانون المسعودي للبيروني ، ومخطوطة « تبصرة أرباب الألباب » للطرسوسي وهي مخطوطة يتيمة تبحث في مختلف صنوف الأسلحة ولعلها أقدم ما ألف في موضوع الاسلحة ، ومخطوطة قيمة عن « الدروز » يرجع تاريخها إلى أوائل القرن الخامس الهجري .

وقد ابتاعت البودليان في السنوات الاخيرة نحواً من مائة مخطوطة من مزادات سوذبي وكريستي العلنية وأكثرها من مخلفات المستشرقين الراحلين حتى لقد بلغ عدد المخطوطات العربية في المكتبة اليوم نيفاً وثلاثة آلاف مخطوطة .

وبوسع القارىء أن يستعير أي مخطوطة لمطالعتها داخل القاعة بعد تقديم طلب خطي لأمين المكتبة ، ولا تمنع عنه إلا المخطوطات التي تحتاج إلى تصليح أو الهشة التي لا يمكن تداولها أو التي أعيرت لمعارض أو مؤسسات أخرى ، وسياسة الإعارة للمعارض والمؤسسات حديثة نسبياً ، فقد كانت البودليان تمتنع عن إعارة أي كتاب مطبوع أو مخطوط ، حتى انها امتنعت عن اعارة كتاب لاحد ملوك انكلترة نفسه عندما تقدم اليها بطلب ، ولا يزال النظام سارياً حتى الآن بالنسبة للافراد ، أما بالنسبة للمعارض

والمؤسسات العلمية فيبدو أن شيئاً من التسامح قد أخِذَ بنظر الاعتبار ، ومن أطرف ما يذكر عن البودليان أن كتبها كانت مربوطة بسلاسل وثيقة خشية السرقة ولا تزال نماذج منها باقية على هذه الحال إلى يوم الناس هذا .

وتنقسم المكتبة إلى « بودليان القديمة » و « بودليان الجديدة » وترتبطان بنفق تحت الأرض تنقل عن طريقه الكتب بعربة على سكة حديد تحت الشارع الذي يفصل البنايتين ولا يسمح لاحد من غير العاملين في المكتبة أن يمر من هذا النفق إلا في حالات خاصة ولزوار معينين .

صفاء خلوصي

وسام الاستحقاق السوري

للأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي عضو المجمع

صدر عن رئاسة الجمهورية العربية السورية المرسوم التالي ذو الرقم ١١٨٠

رئيس الجمهورية .

بناء على المرسوم التشريعي رقم ١٥٣ تاريخ ٢٥/٦/١٩٥٣ المتعلق بإحداث وسام الاستحقاق السوري .

وبناء على المرسوم رقم ١٤٠٢ تاريخ ١١ / ٥ /١٩٥٥ المتضمن نظام منح وسام الاستحقاق السوري وتعديلاته .

يرسم ما يلي :

المادة ١ – يمنح السيد الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق (من باكستان) وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى .

المادة ٢ – ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم .

دمشق في ١٣٩٧/٧/٢٣ – ١٩٧٧/٧/٩

التوقيع : رئيس الجمهورية

حافظ الأسد

ومجمع اللغة العربية يقدم للزميل العالم الجليل خالص تقديره ويتمنى له أطيب الحظوظ من الصحة ويرى في هذا المرسوم بعض الوفاء للرجل الذي وهب حياته للثقافة العربية ، تدريساً وتأليفاً وتحقيقاً . ويشكر له مأثرته الكريمة في التبرع لمجمع اللغة العربية بمبلغ مائتي ألف روبية ، ويسأل الله أن يحفظه ذخراً للدراسات العربية في أقطار الإسلام والعروبة .